

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامُ

إِنَّ مَوْضِعَ حُطْبَتِنَا الْيَوْمَ هُوَ: فَضِيلَةُ الْجُودِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ﷻ قَدْ خَلَقَنَا مِنَ الْعَدَمِ، وَزَوَّجَنَا نَعْمًا لَا تُحْصَى، وَجَعَلَ الْمَالَ فِي أَيْدِينَا أَمَانَةً. فَمَالُ الدُّنْيَا لَيْسَ مَعْيَارًا لِلْفَضْلِ، بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، وَإِنَّمَا تَظْهَرُ قِيَمَةُ الْمَالِ الْحَقِيقِيَّةُ بِإِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ رِضَا اللَّهِ ﷻ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)

إِنَّ الْجُودَ لَيْسَ مُقْتَصِرًا عَلَى إعْطَاءِ الصَّدَقَةِ لِلْفُقَرَاءِ فَقَطْ، بَلْ يَدْخُلُ فِيهِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ، وَذِي الْقُرْبَى، وَالصَّدِيقِ، وَالضَّيْفِ، وَكُلِّ ذِي حَاجَةٍ. وَلَيْسَ مِنْ شَرَطِ الْجُودِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ غَنِيًّا، فَكُلُّ مَنْ شَارَكَ غَيْرَهُ فِيمَا آتَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى قَدَرٍ وَسِعِهِ فَهُوَ جَوَادٌ. وَرُبَّ لُقْمَةٍ خُبِرَ، أَوْ شَرْبَةٍ مَاءٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، أَوْ تَبَسُّمٍ صَادِقٍ، يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ صَدَقَةً.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (البخارى)

فَيَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْمِيرَانَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ لَيْسَ كَثْرَةُ الْمَالِ الْمُبْدُولِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِخْلَاصُ الْعَبْدِ وَتَضَحُّيَّتُهُ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُحَاوِلُ دَائِمًا أَنْ يَصُدَّ الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، فَيُخَوِّفُهُ مِنَ الْفَقْرِ، وَيُلْقِي فِي نَفْسِهِ الْوَسْوَاسَ، فَيَقُولُ: مَاذَا لَوْ افْتَقَرْتُ؟ وَمَاذَا لَوْ نَقَصَ مَالُكَ؟ وَلَكِنَّ رَبَّنَا ﷻ يُخَيِّرُنَا بِخِلَافِ ذَلِكَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبا: ٣٩)

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ

لَيْسَ لِلْإِنْفَاقِ وَالْإِكْرَامِ مِقْدَارٌ مُحَدَّدٌ، بَلْ كُلُّ مُؤْمِنٍ يُنْفِقُ عَلَى قَدَرِ طَاقَتِهِ، مَعَ عَدَمِ التَّفَرِيطِ فِي تَفَقُّهِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَفْطُورٌ عَلَى حُبِّ الْخَيْرِ، وَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ لَا يَجِدُ الرَّاحَةَ حَتَّى يُحْسِنَ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنَ أَشْجَارِ النَّارِ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى النَّارِ». (الدليمي)

إِنَّ الْجَوَادَ قَنُوعُ النَّفْسِ، سَلِيمُ الْقَلْبِ، لَا يَعْرِفُ الْحِرْصَ. وَهُوَ كَالْغَيْثِ يَنْفَعُ الْجَمِيعَ، يُكْرِهُ النَّاسَ دُونَ تَفَرِيقِ بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَطَعَامُهُ مَبْرُوكٌ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَرُدُّ طَالِبًا شَيْئًا يَقْدِرُ عَلَى إعْطَائِهِ، وَكَانَ يُؤَثِّرُ تَأْلِيْفُ الْقُلُوبِ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامُ

إِنَّ الَّذِي يُفْقِرُنَا الْيَوْمَ لَيْسَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْرَافُ، وَالْمُبَاهَاةُ، وَالْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ. فَكَمْ مِنْ أَنْاسٍ يَغْضُوبُونَ الطَّرْفَ عَنْ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ، وَيُنْفِقُونَ الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَالتَّبَرُّكَةُ الْحَقِيقِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْمَالِ الَّذِي يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ.

فَهَلُمُّوا نُؤَدِّ زَكَاتَنَا كَامِلَةً، وَلَا نُهْمِلِ الصَّدَقَةَ، وَلِنُرْعَ حُقُوقَ أَقَارِبِنَا وَجِيرَانِنَا، وَلِنَتَّقِفَ إِلَى جَانِبِ الْأَيْتَامِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْعَامِلِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِنَحْذَرَ الْبُخْلَ، وَالْأَكْرَةَ، وَالرِّيَاءَ، وَلَا نَدْعُ حُبَّ الدُّنْيَا يَسْتَعْبِدُ قُلُوبَنَا.

وَأَخْتِمَ حُطْبَتِي بِبُشْرَى رَبَّنَا ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٢٠)

